

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلسلة وردني سؤال

الحلقة (٥)

السؤال: ما هو مدى قبول الزيارة الجامعة سنداً ودلالة؟

في مقام الجواب نقول وبه جَلَّ وعلا المستعان:

زيارة الجامعة هي إحدى الزيارات المهمة، والتي عُرِفَ عن علمائنا وفقهائنا المواظبة عليها مواظبة مستمرة دون أي توقف أو تحفظ، وقد رواها من علمائنا المتقدمين الشيخ الصدوق في كتابه (من لا يحضره الفقيه)^(١)، بهذا السند:

قال: حدثنا علي بن أحمد بن موسى، والحسين بن إبراهيم الكاتب، قالا حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي عن محمد بن إسماعيل البرمكي (روى محمد بن إسماعيل البرمكي الفقيه) قال: حدثنا موسى بن عبد الله النخعي، قال: قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: علمني يا بن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم.

وشرح السند بشكل مختصر هو كالتالي:

- ✓ أما الشيخ الصدوق فحاله وجلالة شأنه يغنيان عن الكلام في وثاقته.
- ✓ وأما علي بن أحمد بن موسى ويقال له الدقاق فقد ترضى عليه الشيخ الصدوق (ره) في أكثر من مورد منها عند ذكر طريقه له في مشيخة كتابه الفقيه وهذا يدل على جلالة الرجل ووثاقته.
- ✓ وأما الحسين بن إبراهيم بن أحمد الكاتب فهو من مشايخ الصدوق وقد ترضى عليه الصدوق في جميع الموارد.
- ✓ وأما محمد بن أبي عبد الله الكوفي فهو محمد بن جعفر الأسدي، وقد صرح الأردبيلي في كتابه جامع الرواة بوثاقته.
- ✓ وأما محمد بن إسماعيل البرمكي المعروف بصاحب الصومعة، وثقه الشيخ النجاشي وقال عنه إنه ثقة مستقيم.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦٠٩.

✓ وأما موسى بن عبد الله النخعي فهو وإن لم ينص على وثاقته فهو بحسب الاصطلاح مجهول، ولكن هذا لا يعني ضعفه واقعاً بل يمكن أن يكون في الواقع ثقة.

ويمكن التماس وثاقته من نفس عناية الإمام به وتشريفه بإجابة طلبه وبيان الكلام البليغ في ما يقول بحضراتهم ومشاهدتهم صلوات الله وسلامه عليهم، وتعريفهم بمقاماتهم ومكانتهم، وهذا عادة لا يكون إلا لمن هو في محل الاعتماد وتمام الاعتقاد بمقاماتهم ومنزلتهم عند الله تعالى هذا من جهة.

ومن جهة ثانية نفس الزيارة وما تشتمل عليه من بلاغة الألفاظ وروعة المعاني والإحاطة التامة بجميع مقاماتهم في عالم الملك ومنازلهم في عالم الملكوت ودرجاتهم في الظاهر والباطن، كل ذلك لا يمكن للإنسان العادي الإحاطة ببعضه فضلاً عن جميعه، فهذا يدل بما لا يترك مجالاً للشك في صدور هذه الزيارة عنهم صلوات الله عليهم.

وهنا كلام جميل لطيف لشيخنا وأستاذنا الشيخ الجوادى الآملي^(٢) وذلك في مقام بيانه بعداً من أبعاد الزيارة الجامعة، قال دام ظله:

الزيارة الجامعة الكبيرة وزانٌ - أي بوزن - دعاء الجوشن الكبير، ذلك لأنه في دعاء الجوشن الكبير ذُكرت الكثير من أسماء وصفات الله تعالى، وتجلّى الله سبحانه في هذا الدعاء بألف مظهر وتجلّى ليتعرّف عليه الداعي بألف عين فتزداد معرفته ووصف ذاته بتلك الصفات، والإمام الهادي عليه السلام عرّف الأئمة الأطهار عليهم السلام في هذه الزيارة بتجليات متنوعة ليراهم الزائر عبر كوات متنوعة ويتخذهم قدوة وأسوة له، وينشط في التعالي والتكامل بالتأسي بهم عليهم السلام^(٣).

يبقى هنا شيء، وهو أن البعض يستوحش من هذه الزيارة الشريفة بدعوى أن بعض فقراتها يُشَمُّ منها الغلو.

والجواب عن ذلك في نقاط:

أولاً: إن من أدب هذه الزيارة أن يكبر الزائر الله (١٠٠ تكبيرة)، فهذا إقرار من الزائر بعظمة الله جل وعلا وأنه لا فوق عظمته وكماله وجلاله وعظمته وكماله وجماله، وتختتم الزيارة بعد تعداد جملة من مناقبهم ومقاماتهم بالإقرار بوحدانية الله تعالى حتى لا يذهب وهم الإنسان إلى تأليه غير ذات الحق وإن كثرت وتعددت كمالاته ومحاسنه.

(٢) تشرفت بحضور بحثه لخمس سنوات، مضافاً إلى الاستفادة غير المباشرة من أبحاث تفسيره.

(٣) أدب فناء المقربين في شرح الزيارة الجامعة ص ٧٣.

ثانياً: لا بد من ضرورة عدم الخلط بين المقامات الذاتية والمقامات المُفاضة، فالمقامات الذاتية من العلم والحلم والكرم وغيرها هي مختصة بذات الحق جل وعلا ولا يمكن أن تتحقق بهذا المعنى في غيره جل وعلا، وأما المقامات التي يحصل عليها الإنسان بإفاضة منه جل وعلا فهذه لا تعني شيئاً من الغلو، وقد صرَّح القرآن وهو أصدق الحديث بأن الله أفاض جملة من المقامات كمقام الإحياء والإماتة والإخبار بما يدخرون وطى المسافات على بعض من أنبيائه ولا يقول أحد بأن هذا غلو، وذلك لأنها مقامات بالإفاضة من الحق جل وعلا على تلك الذوات الطاهرة من العباد وليست هي من ذاتهم.

ثالثاً: لا شك في أن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد ضحوا في سبيل الله وتحملوا المصائب ورضوا بما رضى الله لهم في هذه الحياة من عناء وشدائد، فأكرمهم الله تعالى بأن أفاض عليهم ومنحهم جملة من المقامات في عالم الملك والملكوت والتي منها كونهم شفعاء يوم الحساب وأن حساب الخلق إليهم، ولكن هذا المقام ليس لهم ذاتياً وإنما هو مقام كسبي منحه الله إياهم وأكرمهم به لما عانوه وتحملوه من القتل والنفي والسجن والإيذاء في سبيل الحق جل وعلا، وأي محذور في ذلك!؟

والعقلاء يقبلون بذلك في عالم الشهادة والملك، فحق العقاب والمجازاة والقصاص بيد الحاكم والملك الظاهري، ولكن قد يُفوّض هذا المقام الذي هو له إلى شخص يكون مورداً للطفه وعنايته، فيقول أقبل بما يحكم به فلان وأرضى به، وليس ذلك إلا من أجل التدليل لرعيته بما يحظى به ذلك الشخص من منزلة عنده.

حرره العبد الفقير أقل طلبة العلم:

محمود الحاج حسن آل الشيخ العالي

ليلة مولد بقية الله الأعظم وناموس الدهر وإمام

العصر عجل الله فرجه الشريف.